مناقشات موضوعات المؤتمر الحادي عشر للادباء العرب

تحت العنوان الرئيسي لموضوع المؤتمر « مشاكل الادب العربي المعاصر » ، عالج عدد من الادباء العرب الذين حضروا المؤتمر ممثلين اتحاداتهم المحلية الموضوعات الفرعية التالية :

أ ـ مشكلة المضمون في الادب المعاصر (اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا)

ب ـ مشكلة الادب المعاصر وعلاقته بالتراث

جـ ـ مشكلة الاشكال الادبية المستحدثة في الادب المعاصر

د ـ مشكلة اللغة العربية في الادب المعاصر

هـ ـ الادب المعاصر والمستقبل .

وقد جرت مناقشة عدة موضوعات مقدمة قدم اصحابها تلخيصات لها ، بينما لم تجر مناقشة الموضوعات الاخرى التي اثبتنا نصوصها في العدد الماضي من الاداب .

مناقشة محاضرة السعدي

وقد ناقش محمد بنيس « من الوفد المغربي » محاضرة محمود السعدي « خواطر حول الادب ومفهومه الفكري » (المنشورة في مكان اخر من العدد الماضي) فكان مما قاله :

انني احضر لاول مرة في مؤتمر للادباء العرب ، ولا اعرف الا القليل عن المؤتمرات السابقة مما نقلته الينا الصحف والمجلات .

استمعنا اليوم لبحث السيد السعدي ، ولا اخفي عليكم انني كنت أشعر بمرارة وحزن مزدوجين ، وانا استمع لهذا البحث ، واسجل النقط الرئيسية التي تناولها . وقد تساءلت مع نفسي طيلة فترة الالقاء : هل نحن امام الوعظ والارشاد ، أم نحن امام بحث فكري يتناول القضايا الادبية التي تشغلنا جميعا ، هل نحن امام فقيه او باحث ؟ والحقيقة اننا كنا امام صوت فقيه وواعظ لم يعد له مجال للوجود بيننا .

انني ارفض كل ما جاء به هذا البحث ، جملة وتفصيلا لسبب بسيط ، وهو ان الواقع الموضوعي الملموس الذي يشدنا اليه يرفضه . فقضية رفض هذا البحث ليست ذاتية على الاطلاق ، وانما هي استجابة لطبيعة حياتنا التي لا تتجاوب ولا يمكنها ان تتجاوب مع منطق هذا البحث .

يشدنا السيد السعدي الى الماضي ، بفكر متخلف عن هذا الماضي . وهذه الدعوة ، كما نعلم جميعا ، قديمة ، كتبت فيها مئات الكتب ، وآلاف من الدراسات التي نشرت منذ فترة طويلة ، وما تزال الى الآن . والبحث عبارة عن اعادة لطرحها بصيغة خرقاء ، لا تعتبر الشروط التاريخية التي نحياها . انها تتكلم كأنها خارج الزمن ، وخارج التاريخ .

هذه الدعوة ، وهذا المنظور الجامد ، متخلفان معا ، لانهما مرتكزان على تحليل مثالي بسيط ، ليست له القدرة على تلمس الواقع الموضوعي ، ولا يمكن ان تكون له . ورفض واقعنا الحضاري العام لجمل ما جاء في هذا البحث لم تثبته التجربة التاريخية التي عاشها العالم العربي منذ فترة طويلة من بداية زمن الحداثة ، واول من يعرف ذلك هو السيد السعدي وامثاله الذين يريدون منا ان نكون مجرد ادوات جامدة في مرحلة تاريخية دقيقة نعيشها جميعا ، فهو يريد لنا ان نجعل من ماضينا مستقبلا ، فنلغي الحاضر والمستقبل معا . ولكن هذا غير ممكن ، لان سبل تحولنا التاريخي لا تسمح له بذلك .

وهذا البحث دعوة لا يمكن ان تكون الا لاهوتية بالمفهوم العام ، على الصعيد الادبي والفكري ، تحاول تغطية الحقائق والابتعاد عن حرارة الصدمة التي تتدفق في سائر مجالات حياتنا . ولو كان السيد السعدي مخلصا حقا لضميره لاكتفى برد الفعل الذي تواجه به مثل هذه الدعوات سياسيا ـ اجتماعيا واقتصاديا وادبيا ، ودخل بيته وصمت .

ان ما قدمه السيد السعدي هو الايديولوجيا بعينها ، كما حددها الفكر العلمي ، المادي الجدلي التاريخي ، باعتبار انه يناقض التحليل الملموس للواقع الملموس .

فالسعدي ، وهو يتحدث بحرارة عن ضرورة الرجوع الى الماضي ، تعامل مع الموروث بوعي متخلف . فالماضي ، كما نعلم غير متجانس ، والحاضر غير متجانس ، والفكر داخل القاعة هو الآخر غير متجانس ايضا . ولكن السيد السعدي مع ذلك يحول الموروث الثقافي والابداعي العربي الى وعي متخلف ككل بفعل قراءته المتخلفة له .

يشكل النص الغائب اهمية قصوى في بحث السيد السعدي ، بحيث نستطيع ان نتبين بوضوح جملة من الاستشهادات ، واعادة لكتابة بعض النصوص المعروفة ، فهو يجمع بين المعتزلة والفلاسفة والشعراء القدماء ثم ينتهي به المطاف الى محمد عبده ، واقبال ، واخيرا بعض التعريفات الانتربولوجية للثقافة مع ثبت لضرورة التعامل مع جدليه هيجل التاريخية . والمسالة ليست في اثبات هذه النصوص ، بالرغم من ان جمعها له دلالته ، ولكن في الوعي الذي يعتمل في دماغ السيد المسعدي عند قراءته لهذا النص الغائب . انها قراءة غير بريئة ، ولا يمكنها ان تكون الا كذلك ، ومن ثم فان حضور النص الغائب مشروط ، في بحثه ، بنمط الوعي الذي يختاره السيد المسعدي كسبيل لخلاص الادب العربي المعاصر . ان الفقيه والواعظ في هذا البحث ليسا آتيين من وجود نوع معين من النص الغائب ، الذي هو بالتحديد النص اللاهوتي والمثالي معا ، ولكنه بالضبط راجع الى النمطية التي صاحبت الباحث في اعادة قراءته لهذه النصوص ، مما ادى به ، بعد افراغها من اطارها الموضوعي الذي تشكلت فيه ، الى اعادة كتابتها لا على اساس الخلق ، ولكن على اساس الالغاء . فالنص الغائب مثبت وملغى في آن معا ، والموجود في النهاية

هو قناعة السيد المسعدي مدعمة ومسورة بنصوص لم يقدر على ادراك بنيتها العميقة .

اننا هنا لسنا بصدد تحليل حديث السيد المسعدي ، لان المناسبة لا تسمح بذلك ، انما نحن ، مع ذلك ، امام تعرية وكشف عن شلل هذه النخوة في مرحلة تاريخية لم تعد الايديولوجيا ، كما حددناها سابقا ، تتطلي علينا . ولذلك فان بحث السيد المسعدي متخلف تاريخيا ، ويستحيل تحقيقه في الواقع مستقبلا .

والمصيبة حقا هي انه يهاجم الفكر التقدمي ، مستعملا مصطلح الفكر الغربي ، وفي نفس الوقت لا يجد ما يختم به هذا البحث غير التعريفات الانتروبولوجية والهيجلية كوعي مثالي قبل كل شيء ، اتى بها لمحاولة دحض الفكر التقدمي باسم الهجوم على الفكر الغربي ، اي انه يهاجم الفكر الاوروبي ظاهريا ، والتقدمي في العمق ، عن تنظيم الهجوم بغير الفكر الاوربي الذي لا يتساهل معنا في تبنيه .

ان المسالة معقدة ايها السادة ، ولا اريد ان اطيل عليكم، ومع ذلك اقول ان هذه المنظومة الفكرية التي قام برصفها السيد المسعدي متصلة بما هو ابعد من الثقافة كثقافة ، ومن الادب العربي المعاصر كوعي حضاري واجتماعي محدد بفترة تاريخية معينة . ان هذا البحث المقدم ليس الا صياغة غير مباشرة لاهداف سياسية واجتماعية واقتصادية ذات محتوى طبقي برجوازي متخلف تخلف هذه البرجوازية العربية . وبالتالي فهو ليس الا تعبيرا غير مباشر عن الطروحات التكتيكية والستراتيجية لطبقة مهزومة ومنخاذلة لم يعد لها مجال لتثبيت اقدامها او القيام بالدور التاريخي فيما يخص العمل على كل المعضلات المطروحة على امتنا العربية .

ولي كلمة اخيرة : احب ان اقول للسيد المسعدي ان محمد عبده، كما كان في شبابه على الخصوص ، لو عاش في سنة ٧٧ فلربما تحدث بنفس الصوت الذي اتحدث به ، ولربما واجه هذا البحث بنفس المنظومة الفكرية التي اواجهه بها ، لان ما فعله محمد عبده، وما فعله غيره ، من بين من ذكرهم الباحث ، واجهوا ما هو معارض لجوهر الحياة . وشكرا .

وقال ابو غربية (من الوفد الفلسطيني) انه يلتقي مع المحاضر المسعدي في مجال الفكر الديني وفي مجال قيمنا ذات الاصالة والحضارة .

وتساءل احمد طريبق (من الوفد التونسي)

الى اي حد تعبر مسرحية « السد » للمسعدي عن نظريته التي ضمنها محاضرته ؟

وتعليقا على دعوة المحاضرة الى خلق عبقرية عربية جديدة ، تساءل علي مصطفى المصراتي (من الوفد الليبي) كيف نساهم كادباء، في صنع هذه العبقرية ، وهو ما اهمله المحاضر .

واتهم الاستاذ عبدالله الشيتي الاساذ بنيس في تعليقه على المحاضرة بانه عالج الوعظ بالوعظ والقسوة بالقسوة .

اما محمد برادة (رئيس وفد المغرب) فقد قال ان المسعدي في خواطره اعاد طرح قضايا خطيرة ، وان له ملاحظات على منهجه الذي بدا الحديث عن الوجودية والالتزام وانتهى بالصوفية .. وان الكلام على الالتزام طرح قديم للقضية بينما الطرح الجديد لفكرة الالتزام مرتبط اساسا بالتطور المادي والاقتصادي والاجتماعي وقال ان تحديد المحاضر لماهية الادب تحديد قاصر يضيق على حرية الاديب في التعبير عن كل ما يستجد في ميدان الصراع البشري .

ولاحظ علي اومليل (من الوفد المغربي) ان الطابع العام للعرض هو جمع شتات من ادب قديم وكلام وفلسفة اسلامية وذكر لادباء غربيين ... مع افتراض ضمني ان هناك وحدة تجمع كل هذا الشتات، وهو افتراض واضح التعسف لا يبرره الا ارادة صاحب العرض في كونه يسعى ليس فقط الى تكوين صورة موحدة للماضي بل ومزينة له ايضا .

واضاف ان الغائب في هذا العرض هو التاريخ وهو المجتمع كتنوع وكصراع غالبا ما لا يعكسها المكتوب ، ادبا كان او فلسفه او تاريخا . صاحب العرض يريد أن يصل الى استنتاج : وهو ان على الاديب ان يعبر عن « جوهر الانسان » ـ وهو المعنى الذي اعطاه للالتزام . كان هذا الانسان كائن يعبر التاريخ على الرغم من التاريخ، قد تطرا عليه عوارض من نظام اجتماعي او سياسي ، من استعمار او هزيمة .. ولكن هذه جميعا كالغبار الذي يعلق بالتحفة ما علينا الا ان ننفضه ليعود اليها اللمعان . ينشغل الاديب بشؤون يومه ، وقد يكون له موقع في جهاز دولة تقوم على القمع ، حتى اذا ما انتهى من عمله المعاشي او الرسمي عاد الى داره واستحال اديبا يدبج ادبا يعني « بجوهر الانسان » .. ومن هنا تخلق المشكلات الوهمية التي تستعمل مفاهيم منتزعة من سياقها الثقافي ـ المجتمعي « كالالتزام » ، او تقرأ الماضي قراءة قوامها التبسيط والتوفيق والتزيين .. وتظل المشكلات الحقيقية غائبة عن هذا الادب ما دام بحكم منطلقه المنهجي لا يراها ، وهو وضع كل ادب يقوم على التغطية والتبرير .

ورد المسعدي على منتقديه ، فقال ان الفكر لا يمكن ان يحصر، او يملى كما حاولوا ، وان ملتقى الادباء هو ملتقى لحرية الفكر ، موضحا ان محاضرته « جملة من الخواطر استوحيتها من تجربتي في الحياة » وقال ان المنتقدين احرار في آرائهم ، وان المهم ان يلفت النظر بان على الادب ان يعكس ما يجب ان تستنبطه الامة العربية في طورها الجديد من قدرتها على الوجود ، وان تضيف الى حضارتها ما يجددها .

مناقشة محاضرة مروة

وكان ممن ناقش محاضرة حسين مروة « ماذا تعني مشكلة المضمون في الادب العربي » (المنشورة في مكان اخر من العدد) عمار بلحسن (من الوفد الجزائري) فتطرق الى نقطتين : اولا ـ تحديد مفهوم الاديب والشاعر ، بانه شخصية انسانية ، وكل شخصية انسانية هي كائن اجتماعي او هي مجموع للعلاقات الاجتماعية التي تحددها ، لذا فان الشاعر هو القدرة والشفافية على فرز وتحديد هذه العلاقات وموقعه منها وموقفه من واقعها (ويكون هذا بواسطة اللغة) . وعلى هذا فان انتماء الاديب لمجموعة او طبقة هو امر حتمي ، موضوعي ، منفصل عنه ، وذاتية الانا وخصوصيتها تتحقق من خلال الارتباط بالحركة الاجتماعية وصراعاتها وقواها الثورية، ولذلك فان مشكلة الحدس في العملية الابداعية لا تلعب الدور المحدد ، بل هي عامل مساعد ، فاللاشعور الاجتماعي والتكوين النفسي اللاواعي للاديب او الفنان يلعب دورا ثانويا . وهذا على عكس الوعي والعقل والثقافة والرؤية العلمية التي تشكل بنية العمل الابداعي . وانتهى الى القول ان اي ادب هو ادب منحاز ملتزم ولو لم يع ذلك كاتبه ، ولكن ليس بطريقة ميكانيكية بل بطريقة تمج بالجدل والتركب والتعقد .

واعترض نورالدين بلقاسم (من الوفد التونسي) على تقسيم المحاضر للشعر بانه اما مرتبط بالمعرفة او انه عضوي . كما قال محمد برادة انه يختلف معه حول الجزء المتعلق من حديثه بالانفصام، ذلك الذي يعلله المحاضر بكون الشعراء ارتدوا الى ذواتهم وانفصلوا عن المجتمع ، في حين ان من حق اي شاعر ان تكون له لحظات فلق وشك .

واشاد احمد عبدالمعطي حجازي (الذي تلقى دعوة خاصة لحضور المؤتمر) بدراسة مروة ، قائلا ان الازمة التي يتعرض لها شعرنا المعاصر من اكبر الازمات المحورية ، لان شعرنا هو ذلك الفن الذي حمل وعي الحرية ، وان تراجع هذا الفن تعبير عن ازمة الادب العربي كله ، وازمة الانفصال بين الفردي والجماعي ليست جديدة،

ولكن سببها الاساسي اليوم تراجع التيار النقدي وقصوره .

وانتقد الياس خوري (من الوفد اللبناني) منهج المحاضر في ربط الشكل بالمضمون

مناقشة محاضرتي عيد وبالرشيد

قال سمير عيادي (من الوفد التونسي) تعليقا على محاضره الدكتور كمال عيد « مشاكل الادب الدرامي العربي المعاصر » ومحاضرة عبدالكريم بالرشيد « المسرح العربي يبحث عن المسرح العربي » ما يلي:

اذا ما انطلقنا من ملحوظة ان الدراما تعبير يختلف عن التعابير الادبية الاخرى من حيث انها منصلة اساسا بديناميكيه الحوار المباشر في اطار مساحة وتقنيات ووسائل مادية بين المعبر (وهو الممثل أو الشخص اساسا ولو كان من ورائه مؤلف أو مخرج وبين الجمهور المجتمع من حوله ادركنا ان لا ضرورة لاعتبار الجانب الادبي النصي في الابداع المسرحي دون صلة هذا الجانب بمقومات الحفل المادية والتقنية والفكرية .

لذلك ورغم الايمان باهمية المؤلف الدرامي من حيث انه يركز في النص محاور البحث والاثارة ويخطط منهاج التعبير ومرحليته فاننا لا ننفي اهمية الممثل العنصر الاساسي لربط الحوار مع الجمهور . ولا يمكن بالتالي ان نعيب عليه « قتل المؤلف » عندما يدرك ان العلاقة الاجتماعية والسياسية والفكرية قد تغيرت بينه وبين الجمهور ، فيحتاج الى محاور بحث جديدة ومنهاج تعبير متطور . ويلجأ الى تعبير شخصي يبدعه بنفسه مرتجلا احيانا ، مقترحا دائما. لذلك نعتبر ان « موت المؤلف » يناسب مرحلة انتقال مثلما حصل ذلك في عديد من المراحل التاريخية في اوروبا القروسطية او حتى في العصر الحديث ابان قيام هزات وثورات اجتماعية واقتصادية وسياسية . كما حصل في مسرح « سبكانور » بالمانيا ، ويحصل الآن عند « فروتفسكي » ببولونيا .

فالممثل بصفته العنصر الاساسي للفرجة والحوار المسرحيين يحتاج الى الارتجال والى الاستغناء عن المؤلف الذي لا يواكب التطورات لتشييد المنهج الموضوعي والفني الجديد للتعبير المسرحي .

اما البحث في المسرح الشامل فلا يمكن ان نصفه « بالهرج والمرج » الا اذا كان الدكتور كمال عيد لا يعتبر مسرحا شاملا الا المسرح الاستعراضي . أما المسرح الشامل الذي يعتمد التعابير الادبية والموسيقية والراقصة والتشكيلية والغنائية حسب تصور جماهيري وفي اطار الدقة الفنية والنظرة البعدية النقدية والعلاقة الجدلية بالمحاور الموضوعية المقترحة والاهتمامات المفترضة لدى المتفرجين ، فانه صعب المراس لا محالة لكنه الطريق الموصلة الى تحطيم التاطير والتقنين الضيقين في حيز جغرافي واجتماعي طبقي نحو بلوغ مساحات جديدة واسعة ومحاورات جدية مع فئات الشعب حيثما كانوا وكلما احتاجوا الى تعبير موصل في وافعهم اليومي الاجتماعي والسياسي والفني ديموقراطي المنهج دون ما كبت لرغبة في الاستفادة بهذا التعبير الفني او ذاك .

بقي لي ان اشير الى ان مسرح اللامعقول لم يكن مصدرا لحركة مسرحية معينة في فترة ما او باهرا للمسرح العربي عامة الا حين توفرت او تتوفر لدى المقبلين عليه من كتاب ومخرجين وممثلين رغبة في « مواكبة » تقليعات فنية في ارضية ثقافية واجتماعية مختلفة عن الارضية العربية او ـ وهذا هو الامر الاخطر ـ اندفاع في المنطق السياسي الذي اتى به هذا اللون في المسرح والذي هو منطق ردة رجعية لا تعبر عن قلق وجودي أو لغوي فقط بل تحاول تحطيم كلا الافادات والمطارحات التي اتى بها المسرح الاجتماعي والسياسي في اطار الفكر المادي بين الحربين وكذلك في الخمسينات . وما توفيق الحكيم الا ممثل لهذا الخطر الهادم للوعي القادم للجدل المادي الواقعي .

وقال كمال الدين محمد (من الوفد اليمني) ما يلي :

آخذ اولا على الاستاذ عيد استخدامه لمصطلح المسرح الشامل تعبيرا عن الحالة او الظاهرة المسرحية الهذيانية التي تسود في بعض اقطارنا العربية في الفترة الراهنة وهي عبارة عن موضات مسرحية استعراضيه وتجارية ، فالمسرح الشامل كما سبق ان اوضح الاخوة المناقشون مفهوم مسرحي وتجربة متعارف عليها كاستفادة من كافة الفنون : الموسيقى والرقص والغناء الى آخر .

والمأخذ الثاني الذي آخذه على الاستاذ كمال عيد هو تركيزه على التجربة المسرحية عند توفيق الحكيم ممثلة بمسرحيتيه :« ياطالع الشجرة » ، و « انطعام لكل فم » كمثال للاشكال المستحدثة في المسرح العربي واغفاله لتجارب مسرحية رائدة وتعبر بالفعل عن حداثة في الاستخدام للشكل المسرحي المعاصر ومن هذه التجارب : تجربة الاستفادة من المسرح الملحمي البريختي وكمثال عليها اخراج سعد اردش لمسرحية بريخت « دائرة الطباشير القوفازية »، وكذلك تقديم المخرج اللبناني « الخوري » لمسرحية « جحا في القرى الامامية » وهي استلهام لمسرحية بريخت « شفيك في الحرب العالمية الثانية » .

كذلك هناك محاولات لتحطيم الحائط الرابع في المسرح ولتكسير البنية المعمارية الايطالية التي وجدت منذ مارون النقاش في ١٨٤٧ م ونشوء النهضة المسرحية العربية الاولى ، وهذه المحاولات نجد من امثلتها مسرحية سعدالله ونوس « حفلة سمر من اجل ٥ حزيران ».

اما بالنسبة لبحث الاستاذ عبدالكريم بالرشيد فانه يعدم وجود نظرية مسرحية عربية ، بينما ارى ان ثمة نظريات عدة مسرحية وهي في تصارع مستمر وكل منها تعبر عن اتجاه فكر عام بل وفئات وطبقات اجتماعية ..

ان النظرية اذا لم تكن موجودة فعلا فانها في سيرورتها الآن نحو التشكل والتبلور على يد مسرحيين ونقاد كبار . فنحن لا ننكر دور نعمان عاشور مثلا في ايجاد هذه النظرية مع نقاد تقدميين كمحمود امين العالم ورجاء النقاش وغالي شكري وهم الذين ارسوا اسس التيار الاجتماعي في المسرح العربي والذين مهدوا الطريق لاسماء مسرحية شابة كمحمود دياب والفريد فرج ويوسف ادريس وعزيز محمد وسعدالله ونوس وغيرهم ..

ان النظرية موجودة وتبررها احتياجات مجتمعنا العربي واحتياجات العصر .

اما بالنسبة لموقف الاستاذ بالرشيد من الاتجاهات اللامعقولية والعبثية التي ظهرت وخاصة في اواخر الخمسينات فاجدني اتفق معه في رفضها بل واقول انها اثبتت افلاسها ، وللاسف ادركنا ذلك في وقت متأخر شيئا وبعد ان حرفت لفترة طويلة من مسار ادبنا الحقيقي . واضع هنا مثالا على هذا الافلاس : ابتعاد كاتب عبثي كاداموف واتجاهه للتعبير عن قضايا الانسانية الحقيقية الطبقية وتجلى ذلك في مسرحيته الاخيرة « سياسة الفضلات » .

وقال مصطفى فاسي (من الوفد الجزائري) :

جاء في محاضرة الاستاذ كمال عيد ما معناه لا تنجح كثيرا المسرحية التي تستخدم العربية الفصحى .

وانا من ناحيتي اتساءل فقط : ما هو النجاح الذي يعنيه الاستاذ المحاضر ؟

اذا كان الاستاذ كمال يعني النجاح المحلي الذي تساله المسرحية نظرا للمفردات والعبارات المحلية التي تستخدمها فنحن متفقون معه في نجاحها لاستخدامها العامية .

ولكن هل يعتبر هذا نجاحا حقا ؟

اعتقد بان نجاح المسرحية او فشلها يجب ان يقوم على مستوى العالم العربي ، وعلى الكاتب العربي ان يعتبر نفسه كاتبا عربيا ومسؤول عن تطور او انحطاط اللغة العربية .

وتعليقا على محاضرة احمد الشرفي « مشكلة اللغة العربية في الادب المعاصر » قال عبدالله الشيتي(مدير مجلة «النهضة» الكويتية) بان المحاضرة مكثفة وانها في جوانب اساسية منها بدت كما لو انها عناوين كبيرة لقضايا عديدة ، فكرية وثقافية واجتماعية متفرقة وهي تمس واقع اللغة العربية واللهجات العامية ، وما آل اليه ، من قريب او بعيد .

وعارض الشيتي دعوة بعض المعقبين الى الكتابة بالعامية. وهاجم الداعين اليها او المدافعين عنها ، لان العامية تعيش ومعها بذرة موتها . وان الفصحى هي الجسر .. جسر التفاهم ، والتلاحم العربي المصيري الممتد بين امة العرب من محيطهم الى خليجهم ،كما هاجم الشعوبيين والداعين الى (فرنجة) هذه اللغة واحلال(الحروف) اللاتينية محلها ، كدعوة سعيد عقل المنطلقة من منطلق شعوبي حاقد على العربية الفصحى ، اذ ان اللغة هي احدى مقومات نشوء الامة العربية بل المقوم الاساسي وهي اناء التراث والحضارة الكبير وفي الوقت نفسه هاجم التقوقع (القاموسي) في الكتابة الى الناس .

ودعا كتاب السينما والمسرح والتلفزيون الى اعتماد الفصحى المهذبة المبسطة لتحل محل العامية المتدنية الشارعية التي تفسد الذوق والجمال والاحساس الحقيقي .

كما اشاد بمواقف بعض المغاربة في الغيرة على اللغة العربية حيث المعاناة هناك من اثر الاستعمار الفرنسي الذي ترك ثقافته والتاثر بالفرنسية امرا واضحا .

كما طالب الشيتي بضرورة اعداد معلمي المدارس والمعاهد واساتذة اللغة العربية اعدادا جيدا ، لان الكثيرين منهم ، وهم مسؤولون عن تنشئة الجيل ولغته وتراثه ، محتاجون اصلا الى من يعلمهم اللغة العربية حتى يتقنوا تدريسها !

اما احمد اللغماني (من الوفد التونسي) فقد قال :

« انا موافق تماما على التخطيط لتطوير اللغة العربية وتيسير قواعدها لتصير حقا لغة الحياة العامة فضلا عن كونها لغة الادب والثقافة .

بيد اني ارى وجها واحدا لا تستطيع الفصحى ان تكون فيه«اللغة الوسيلة » واعني مشكلة تثقيف الاميين وتوعيتهم عن طريق الكتابة الادبية .

لا اشك مطلقا في ان السواد الاعظم من الاميين يفهمون منها « مجملا » نشرات الاخبار في الاذاعة والمادة الاخبارية في الصحف (اذا قرئت لهم) ولكني على اكمل يقين (وقد عشت التجربة في مهمتي بالاذاعة) ان اي اثر ادبي (مسرحية ، قصيدة ، مقالة الخ ..) لا يكون لها الا مفعول ضئيل جدا في نفوس الاميين اذا لم افل ان مفعولها منعدم تماما .

وان الامة العربية في كل اقطارها خائضة معركة التنمية الشاملة وهذه المعركة لا يمكن كسبها الا اذا جند لها الشعب كله ،واكثر من نصف شعبنا امي .

والنجاعة تقضي الا تكون التوعية بالمقالة المباشرة وبالخطبة الرنانة ، بل بالاثر الفني والادبي الذي يكون ظاهره امتاعا وباطنه تثقيف وتوعية . فكيف يمكن ان تحقق هذه النجاعة في تجنيد الاميين في معركة التنمية اذا لم نكتب لهم « ادبا » (يسمع في الاذاعة ويرى في التلفزة) في لهجتهم العامية التي بها يعبرون عن آمالهم وآلامهم ، وبها ينلقون ما يحرك وجدانهم ، ويدخل عقولهم .

ان هذا لا يعني اننا نحل اللهجة العامية محلا رسميا في الكتابة ولكن الحل المقترح هنا وقتي ريثما ياتي يوم نتمنى الا يكون بعيدا تكون فيه اللغة الفصحى لغة العلم ولغة الفن والادب عند جميع افراد الشعب

والآن امامنا اختياران يجب ان نختار احدهما عن ترو وتفكير وعن تجرد من كل مؤثر عاطفي .

١ ـ هل علينا ان ناخذ بايدي المحرومين من نور التعليم فنثقفهم ونرفع من مستواهم لخير البلاد وذلك بتبليغهم ما نود تبليغه باللهجة العامية ؟

٢ ـ ام هل يجوز لنا ـ تحت تاثير الحملة ضد اللهجة العامية ـ ان نضحي بهؤلاء المحرومين فنتركهم يكملون ايامهم في حياتهم الهامشية ، فلا يشاركون في شرف معركة التنمية ، وبذلك يكونون عالة فظيعة الثقل على مجتمعهم ؟

هذان السؤالان يجدر ان يحيرا كل اديب متحرر من كابوس الشعارات البراقة وان يختار (مختارا حرا) ان يجيب عليها

اما انا فقد اجبت: «بنعم» مؤكدة على السؤال الاول، و « بلا » مؤكدة كذلك على السؤال الثاني .

ومما قاله نورالدين بلقاسم (من تونس) في الموضوع نفسه :

طرحت في المناقشات قضية الفصحى والعامية في البلاد العربية، وهذا الموضوع اعتقد انه حساس لانه لا يتصل باللغة كاداة فحسب وانما يتصل باللغة كفكر وحضارة وسلوك . فنحن ان فقدنا لغتنا العربية ـ وهذا لن يكون ـ فاننا نفقد انفسنا ، لانها هي كياننا والحبل المتين الجامع بيننا .

وقد سعى الاستعمار الى اثارة مسالة العاميات وذلك طمعا في ان تؤول العربية الى ما آلت اليه اللاتينية . فكما هو معروف تقسمت هذه اللغة الى لهجات آلت فيما بعد الى لغات مستقلة،ونذكر منها الفرنسية والايطالية . فاللهجات العامية ليست لغات لانها على مستوى القطر الواحد غير مفهومة بين اهل الاقاليم المختلفة .

واذا كان القطر الواحد لا يستطيع اهله الابلاغ فيما بينهم بواسطة اللهجات ، فكيف يستطيع العرب التفاهم بهذا الخليط المشوش الذي لا يحصى من الدارجات . فمثلا كلمة دجاجة تختلف من حيث النطق في اللهجات بين قطر واخر .فالجيم فيها يتبدل ابدالات غريبة . ففي تونس تنطق (دجاجة) ، وفي الجزائر (دجادجه)،وفي مصر (دكاكه) ، وفيما بين النهرين (تشاتشه) ، وفي شمال الجزيرة العربية (دياديه) .

فالدارجات تختلف الاصوات فيها اختلافا شديدا من حيث النطق والتغليظ والتدقيق والجوهر والهمس والنغمية . ولعل ما يبعد الدارجات عن ان تكون لغة ابلاغ بين الناس هو انها مختلفة ، واختلافها يرفضها من الاساس .

ولكن للسائل الحق ان يسال ما هو الحل للمشكل اللغوي القائم والذي لا ينكره الباحث الرصين .

كما كان الاولون يملكونها على حد تعبير طه حسين . وعلى هذا الاساس لنا حق الزيادة فيها ، وحذف ما نراه مستهجن ووحشي لا يتماشى مع الذوق المعاصر . فلغتنا عجينتنا . نشكلها كما نشاء وهي بنا تتقدم لا بنفسها ، والذين يحاولون ان يحملوا العربية الوزر هم كالذي يشتري كساء ضيقا فيعمد هذا الشاري الى لوم الكساء على ضيق وينسى ان الخياط والفصال هما السبب في ذلك .

واعتقد انه من المهازل التي تنضم الى حصيلة مهازلنا ان يقول بعضنا بان العربية ليست بلغة علم . ان هذا القائل اما عاجز او عميل او من قبيل الذين لا يعملون ويسوؤهم ان يعمل الاخرون. فالعبرية الميتة منذ آلاف السنين احياها اليهود وطوروها وهم يدرسون بها الان العلوم والفنون .

والصينية ذات الحروف الابجدية الكثيرة والغريبة في اشكالها هي لغة العلم والتكنولوجيا عند الصينيين .

ان لغتنا هي بنا .

واذا صح منا العزم فان كل شيء يسير . والمشكل ينحصر في ان اللغة العربية هي لغة المثقفين والمتعلمين ، وبما ان الامة العربية ما يزال سبعون بالمائة منها تقريبا يعانون الامية ، وبما ان هؤلاء الاميين لهم الحق في ان يفهموا السياسة والاقتصاد والاجتماع حتى يشاركوا في البناء والتنمية ـ بما ان هذه الاشكالات كلها تطرح نفسها علينا بالحاح فانني اعتبر ان الحل الاسرع والانفع والاكثر موضوعية يتمثل فيما يلي :

١ ـ تقوم لجان من العلماء المختصين في اللغة العربية على مستوى الاقطار بعملية مسح للكلمات العربية الفصحى المستعملة على السنة الناس والتي جرت مجرى العامية . ثم تجمع هذه الالفاظ في معاجم بحسب المواضيع . فيكون معجم الفلاحة ، ومعجم التجارة ، ومعجم الصناعة ، ومعجم النبات ، ومعجم الحيوان الى آخره ...

على ان يركز هذا العمل على الريف والبادية لابتعادهما عن المدن، ولسلامة لغة الناس فيهما من التاثر باللغات الاجنبية .

٢ ـ بعد ان تتم كل لجنة ـ على المستوى القطري ـ هذا العمل تجتمع اللجنة العلمية العامة التي هي مجموعة اللجان القطرية، وذلك لمراجعة المفردات واقرارها على اساس الاستعمال وموافقتها لقواعد اللغة العربية النحوية منها والصرفية .

٣ ـ اذا وجدت ثغرات في هذه المعاجم بعد اتمام العمل السابق يمكن الالتجاء وقتها الى النحت او الى التعريب او ادخال كلمات مستعملة على السنة العامة بعد ان تجعلها موافقة لقواعد العربية النحوية والصرفية .

وهذه الثورة على الواقع اللغوي مرهونة بشرطين هامين :

ا ـ المبادرة السياسية التي تضمن تمويل هذا المشروع وتحميه طيلة عشر سنوات على اقل تقدير .

ب ـ ان يتعهد القائمون عليه والقائمون به بان يتركوا التردد والتعبير عن النوايا الحسنة دون الفعل ، ويتحاشوا الانتكاس ،وان يتجهوا مباشرة الى العمل .

اننا بهذا نتحصل على النتائج التالية :

١ ـ اخراج اللغة العربية من الحصار المضروب عليها ، وذلك بجعلها لغة الشارع والمعاملات اليومية ، لان اللغة استعمال ،وكل لغة لا تستعمل هي لغة سائرة للموت .

٢ ـ قطع الطريق على الاستعمار العالمي والقوى الداخليةالمساندة له ، الساعية الى بناء اسوار نهائية حول الشعوب العربية ، وذلك بقطع الصلة اللغوية بينها .

٣ ـ بما سبق يمكن للعربية ان تخرج من روتين المجامع العربية وبطئها وتخلفها عن حركة التاريخ فليس من المعقول ان تخلق مئات المفردات كل يوم للصناعات والاختراعات الجديدة في العالم المتقدم، بينما المجمع العربي بالقاهرة مثلا حصيلته من المفردات التي اقر استعمالها حوالي عشرين الف كلمة في مدة اربعين سنة تقريبا. فمجامعنا العلمية محافظة الى حد المبالغة .

ان العربية لغتنا ، وليست مقدسة ، انما هي لنا ولنا حق التصرف فيها لاننا نملكها .

حول فكرة المعاصرة

وقال ابراهيم العجلوني (من الوفد الاردني) حول موضوعات المعاصرة المطروحة في المؤتمر ما يلي :

اني لارى غموضا واضطرابا كبيرين في مفهوم المعاصرة ، كما هو باد في الآراء المطروحة ، يقفان دون تحديد وتوضيح هذا المفهوم في الاذهان .

ويأتي بعد ذلك تداخل هذا المفهوم مع مفهوم الحداثة ، مما يشوش الرؤية ، ويزيد الامر غموضا وعماء ..

والذي اراه ان هناك فروقا جوهرية بين هذين المفهومين ،ولن نخطو الى الغد خطوة واحدة ، دون ان نتلفت اليها على اقل تقدير ..

فان اكون معاصرا معناه ان اكون في العصر ، او ان اعيش فيه، او ان أتزامن معه ..

اما الحداثة فامر مغاير تماما ، وهي ان اوجد في العصر لا ان اكون فقط ، ان احيا فيه لا انا عيش وحسب ، ان اصنع زمنا خاصا متميزا ، لا ان تستهلكني ايام زئيبة متوالية ..

اما كيف يمكن ان نكون مستقبليين ، فهو سؤال تال لسؤال اخر هو « كيف نستطيع ان نحيا يومنا الراهن بكامل الفاعلية وكامل الحرية ؟ »

ان الادب كما تعلمون ايها الاخوة فرع على الحياة ، وان تبدت فيه سماتها بجمال وقوة ، وهو بتعبير آخر ظل للحياة ، فهل يستقيم ظل شيء معوج ، كما يتساءل سعيد مهران في رائعة نجيب محفوظ اللص والكلاب ؟

ان لنا ايها الاخوة ان نرسم المستقبل كما نريد ، الا اننا مطالبون اولا بالانصراف الى الواقع الراهن ،والا فسنكون قد بدانا عصر الهروب الى المستقبل ، بعد ان جثم على صدرنا زمنا طويلا عصر الهروب الى الماضي ..

مناقشة محاضره فراج

وعلق رشاد ابو شاور (من الوفد الفلسطيني) على محاضرة عفيف فراج « الرواية العربية الحديثة تنادي الحرية السياسية » فاتهمها بالقصور عن استيعاب الموضوع ، واخذ على الكاتب انه وضع على مستوى واحد روايتي « ام سعد » لغسان كنفاني و « المحاصرون » لفيصل حوراني ، وانه كان انشائيا في دراسته .

وقال روكس بن زائد العزيزي (من الوفد الاردني) ان تيسير سبول انما انتحر بسبب العمى الذي اصابه ، وليس بسبب القمع الذي اشار اليه المحاضر .

ولكن سالم نحاس (من الوفد الاردني ايضا) رد على ملاحظة العزيزي فاكد ان سبول انما انتحر لسبب سياسي ..

واشار الياس خوري بان البحث محاولة جدية تقوم اهميتها على التركيز على مسالة القمع ، وهي مسالة مركزية بالنسبة للفكر العربي عامة .

واخذ عبدالله الشيتي على الباحث انه اهمل الروائيين المصريين في محاضرته .

ورد عفيف فراج على هذه التعليقات بقوله :

احب اولا ان الفت الى ان غياب النص المطبوع عن عيون الزملاء، ادى الى مداخلات نقدية تتهم الدراسة بالنقص لانها لم تتناول اعمال روائية اخرى هامة . والحقيقة ان الاعمال التي ذكرها بعض الزملاء كامثلة لا تندرج ضمن موضوع هذه الدراسة الذي اعيده على مسامعكم مجددا وهو « الرواية العربية الحديثة تنادي الحرية السياسية »

واختيار موضوع الدراسة حق للدارس لا ينازعه فيه منازع. وهذا الاختيار هو الذي حدد لي خياراتي في تناول الاعمال الروائية التي عرضت لها هذه الدراسة ، دون ان يعني ذلك الانتقاص من الاعمال الروائية التي بقيت خارج اطارها والصادرة في هذا الاقليم العربي او ذاك .

* * *

بشأن ملاحظة الاستاذ « ابو شاور » التي يقول فيها انني ازج في نفس السياق رواية « المحاصرون » مع رواية « ام سعد » وفيصل حوراني مع غسان كنفاني ، ارد بأن ورود اسم الروائيين في سياق واحد لا يعني مطلقا انني اضعهما على سوية فنية ، وانما يعني بالتحديد تلاقيهما في نقطة تماس مضموني تتصل بصلب موضوع هذه الدراسة .

اما محاكمة الاستاذ ابو شاور لرواية فيصل حوراني من زاوية ترويجها الى وجهة نظر سياسية تدعو الى قبول الفلسطينيين بجزء من ارض فلسطين ، فهي وجهة نظر حزبية وسياسية لا شأن لي بها . وليس هما نقديا بالنسبة لي الى اي جبهة فلسطينية ينتمي هذا الاديب وعن وجهة نظر اية جبهة يعبر . فهذا منطلق يدخل في اطار التصنيف الحزبي وليس الادبي . اما بالنسبة لقول الاستاذ ابو شاور ان رواية حنا مينه « الشمس في يوم غائم » هي عمل انشائي ، وان الاهم في اعمال « مينه » يتوقف عند « الشراع والعاصفة » فهذه وجهة نظر ذاتية نترك لتاريخ الادب والنقد الموضوعي الحكم فيها .

وعن قوله انني قدمت دراسة يغلب عليها الطابع الانشائي فان ما يسميه الاستاذ ابو شاور « انشائي » هو منتزع من صلب الاعمال الروائية وان كان غياب النص مطبوعا عن عينيه يجعله لا يتبين ما بين المزدوجين ويبدو انه يخلط بين الانشائية والجمالية الادبية التعبيرية كما يتضح من تحامله على رواية « الشمس في يوم غائم » لانشائيتها .

بشأن ملاحظة الاستاذ « روكس » عن « تيسير سبول » الذي انتحر كما يقول « ليس بسبب القمع وانما بسبب العمى الذي اصابه » فان هذا التبرير يذكرني بذلك التضليل الذي نشره الستالينيون حول انتحار « ماياكوفسكي » حين زعموا انه انتحر لاسباب غرامية ! ان اقل ما يقال في مثل هذا الاسلوب ، هو انه يحاول ان يغطي السماوات بالقبوات !

حول ملاحظة الزميل الثالث الذي جاء في مداخلته انني لم اتناول من مصر بالدراسة سوى نجيب محفوظ . فلا ادري اذا كان الزميل يدري ان يوسف ادريس ، وصنع الله ابراهيم ، وصلاح حافظ ، وامين العيوطي ، وجمال غيطاني ومحمود دياب .. هم مصريون ! »

مناقشة بحث هلال ناجي

وقال نورالدين حمود (من الوفدالتونسي) في مناقشة بحث هلال ناجي » الانتفاع من تراثنا العروضي لتجديد شعرنا المعاصر »مايلي:

ركز الاستاذ هلال ناجي بحثه على « البحور المهملة » المستخرجة من الدوائر العروضية او « الدوائر الخليلية » التي حصرت فيها جميع البحور .

لقد نبعت البحور القديمة من انفس الشعراء القدماء وانبثقت انغامها من حالاتهم النفسية اثناء الغناء والانشاد، لكن البحورالتي يمكن استخراجها من الدوائر ميتة لم يكتب عليها احد من « الشعراء » وما الاستشهادات التي قدمها السيد الباحث الا نماذج مفتعلة من وضع بعض العروضيين لم ينسج على منوالها الشعراء .

لقدكان الخليل بن احمد « حسابيا » في وضع هذه الدوائر اكثر مما كان « موسيقيا » اذ انه رأى ان بحر الطويل يتكون من كمية صوتية قيمتها : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن (مرتين)

ورأى اننا اذا بدانا من :

(عيلن) في التفعيلة الثانية وكتبنا التفعيلات على شكل (دائري) وواصلنا القراءة الى (مفا) من نفس التفعيلة ، تحصلنا على بحر (البسيط) وهو هكذا : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن (مرتين) كذلك اذا بدانا من (لن)في التفعيلة الاولى وواصلنا القراءة على شكل دائري تحصلنا على بحر (المديد) وهو هكذا :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن (فاعلن) (مرتين) واضاف (فاعلن) الاخيرة لكي تتم « الدائرة » وقال ان العرب لم يستعملوه الا « مجزوء » اي بحذف (فاعلن) الاخيرة ، فايهما الاصل ما كتب عليه العرب شعرهم ام ما استقامت به « الدائرة العروضية » ؟! طبعا الاصل هو ما كتب عليه العرب شعرهم ولا فائدة في هذه الدوائر التي عقدت علم العروض بشيء ليس منه ولا قيمة له في النغمة الشعرية بل جعلت الخليل ـ او من جاء بعده من العروضيين ـ يقولون في جميع البحور تقريبا : ان اصله كذا والمستعمل منه هو كذا والحقيقة ان « الاصل » هو ما جاء عليه شعر العرب لا ما اضيف لاستقامة (الدائرة) .

لقد عرف عند العرب وزن كتب عليه الشعراء شعرهم مثل قول عمرو بن كلثوم :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ....

ووزنه الخليل فرأى انه يساوي :

(مفاعلتن مفاعلتن فعولن) (مرتين) وسماه « الوافر »

لكنه عندما أراد ان يدير هذه التفعيلات في احدى الدوائر وجد انه يدور مع « الكامل » في دائرة واحدة ولا يتم ذلك الا بابدال (فعولن) (بمفاعلتن) فقال ان اصل الوافر :

(مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن) (مرتين) ويجب حذف سبب خفيف (اي متحرك وساكن) من آخره واسكان ما قبلهما ، فهل اذا وجدنا شاعرا او عروضيا قد كتب بيتا على ذلك الوزن نقول ان هذا الوزن قد اهمله العرب ويمكن استغلاله واحياؤه لتطوير الشعر العربي واثراء موسيقاه ، ان « الفرضيات العروضية » التي تتولد من هذه الدوائر كثيرة لكنها مجرد فرضية ميتة ليس فيها اي موسيقى .. فاين مائور النغم الشعري الذي يكسبها التوقيع وهل وجد شعر حديث يعزز هذا الوزن ؟!

قد تقول : ان النماذج التي نخلقها هي التي تكسبها هذه « الموسقة » ولكني اقول ان « الجوازات » التي تقع في البحور القديمة « جوازات » وجدت تلقائيا ، وهذه البحور يحتذيها العروضيون احتذاء اعمى فيأتون بجميع التحركات والسكنات حسب الوزن المستخرج من الدائرة فيبقى جامدا ، ونحن نعرف ان من الجوازات او الزحافات ما هو أحلى في السمع من البحر التام ،الا ترى انه يحسن كثيرا حذف « السين » من « مستفعلن » في«الخفيف» ولو ابقيتها في كثير من الاحيان لاختل الوزن ، فمن يدرينا في هذه « البحور المهملة » انه يحسن حذف كذا او يجوز حذف كذا او اذا حذف كذا من هذا البحر لا يجوز حذف كذا منه كما هو معروف في « التعاقب والتراقب » وشرح ذلك يطول . لو اخذنا امر العروض كما يؤخذ « الحساب » لاعتبرنا ان « الوافر » هو : (مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن) لكن الشعراء لا يتجاوبون معه ولا يجدون فيه اي نغم .

على اني لا اقف من هذه العمليةالتي قام بها السيد الباحث موقف المعارض ابقاء على البحور القديمة دون غيرها فانا بودي ان توجد بحور اخرى جديدة الى جانب القديمة لكني افضل ان يترك امرها لاجتهاد الشاعر .